العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة (٢٢)

شرح كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري

السيد هاشم الميلاني

العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة ـ ٢٢

شرح كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري

السيد هاشم الميلاني

شرح كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري

■ الناشر: العتبة العلوية المقدسة

■ إعداد: السيد هاشم الميلاني

■ تنضيد وإخراج: زينب جواد

■ عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

■ السنة: ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

العتبة العلوية المقدسة، العراق ـ النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني :

info@haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

تعد مراسلات أميرالمؤمنين عليه السلام ومكاتباته، خير ما حفظه لنا التاريخ من فترة كانت مليئة بالفتن، بحيث يصعب على غير البصير تشخيص الحق من الباطل.

ولو راجعنا إلى هذه المراسلات والمكاتبات لرأينا انّ أميرالمؤمنين عليه السلام يحاول جهده تمييز الحق من الباطل، وإرشاد الناس سيما الخواص منهم إلى النهج القويم، فهو يعظ ويأمر، ويزجر وينهى، ويولّي ويعزل، كلّه لتقويم الأمة وصيانتها من الزلل.

ومن تلك الكتب التي حفظها لنا التاريخ ودوّنها الشريف الرضي في نهج البلاغة، ما كتبه أميرالمؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة، وقد بلغه أنّه دعي إلى وليمة قوم من أهلها غنيّهم مدعو وعائلهم مجفوّ، فمضى إليها، فكتب عليه السلام عاتباً عليه بحضور هذه المأدبة، إذ ينبغي للحاكم أن يواسي الفقراء والضعفاء في جميع أحواله وأموره حتى في كيفية حضور الولائم.

نعم هذا هو النهج العلوي القويم الذي ابتعدنا عنه ونسيناه، فلو انتهج القادة في متابعة مسؤولي المحافظات والدوائر هذا المنهج، ولو التزم هؤلاء المسؤولون في المحافظات والدوائر بمحاسبة سلوكهم الفردي والاجتماعي حتى لا يقعوا فيما وقع فيه عثمان بن حنيف، لكان

حالنا أحسن ممّا نحن الآن فيه بكثير.

لذا آثرنا شرح هذا الكتاب هنا بصورة موجزة، ضمن «سلسلة في رحاب نهج البلاغة» ليستفيد منه القادة المسؤولين، وينتهجوا نهجه، عسى أن يصلح الله تعالى أمر هذه الأمّة.

***

نص الكتاب

ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليهم:

«أمّا بعد ، يابن حنيفٍ ، فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبةٍ، فأسرعت إليها ، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قومٍ، عائلهم مجفوٌّ، وغنيّهم مدعوٌّ».

فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه. ألا وإنّ لكلّ مأمومٍ إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه. ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنّكم لاتقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورعٍ واجتهادٍ، وعفّةٍ وسدادٍ. فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً. [ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه أتانٍ دبرةٍ، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفطةٍ مقرةٍ].

بلى! كانت في أيدينا فدكٌ من كلّ ما أظلّته السّماء، فشحّت عليها

نفوس قومٍ، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الـحكم الله. وما أصنع بفدك وغير فدك، والنّفس مظانّها في غدٍ جدثٌ، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرةٌ لو زيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الـحجر والـمدر، وسدّ فرجها التّراب الـمتراكم، وإنّما هي نفسي أروضها بالتّقوى لتأتي آمنةً يوم الـخوف الأكبر، وتثبت على جوانب الـمزلق.

ولو شئت لاهتديت الطّريق إلى مصفّى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تـخيّر الأطعمة، ولعلّ بالـحجاز أو باليمامة من لاطمع له في القرص، ولا عهد له بالشّبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطونٌ غرثى وأكبادٌ حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنةٍ وحولك أكبادٌ تحنّ إلى القدّ

أأقنع من نفسي بأن يقال: أميرالـمؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدّهر، أو أكون أسوةً لـهم في جشوبة العيش! فما خلقت ليشغلني أكل الطّيّبات، كالبهيمة الـمربوطة همّها علفها، أو الـمرسلة شغلها تقمّمها، تكترش من أعلافها، وتلهو عمّا يراد بها، أو أترك سدًى، أو أهمل عابثاً، أو أجرّ حبل الضّلالة، أو أعتسف طريق الـمتاهة!

وكأنّي بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب، فقد قعد به الضّعف عن قتال الأقران ومنازلة الشّجعان. ألا وإنّ الشّجرة البرّيّة

أصلب عوداً، والرّوائع الـخضرة أرقّ جلوداً، والنّابتات العذية أقوى وقوداً، وأبطأ خموداً، وأنا من رسول ﷺ كالصّنو من الصّنو، والذّراع من العضد. والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها، وسأجهد في أن أطهّر الأرض من هذا الشّخص الـمعكوس، والجسم الـمركوس، حتّى تخرج الـمدرة من بين حبّ الـحصيد.

إليك عنّي يا دنيا، فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك، وأفلتّ من حبائلك، واجتنبت الذّهاب في مداحضك.

أين القرون الّذين غررتهم بمداعبك! أين الأمم الّذين فتنتهم بزخارفك! هاهم رهائن القبور، ومضامين اللّحود. والله لو كنت شخصاً مرئيّاً، وقالباً حسّيّاً، لأقمت عليك حدود الله في عبادٍ غررتهم بالأماني، وأممٍ ألقيتهم في الـمهاوي، وملوكٍ أسلمتهم إلى التّلف، وأوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد ولا صدر! هيهات! من وطىء دحضك زلق، ومن ركب لـججك غرق، ومن ازورّ عن حبائلك وفّق، والسّالم منك لايبالي إن ضاق به مناخه، والدّنيا عنده كيومٍ حان انسلاخه.

اعزبي عنّي! فوالله لا أذلّ لك فتستذلّيني، ولا أسلس لك فتقوديني. وايم الله ـ يميناً أستثني فيها بمشيئة الله عزّوجلّ ـ لأروضنّ نفسي رياضةً تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع

بالـملح مأدوماً; ولأدعنّ مقلتي كعين ماءٍ، نضب معينها، مستفرغةً دموعها.

أتمتلىء السّائمة من رعيها فتبرك! وتشبع الرّبيضة من عشبها فتربض! ويأكل عليٌّ من زاده فيهجع! قرّت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السّنين الـمتطاولة بالبهيمة الـهاملة، والسّائمة الـمرعيّة!

طوبى لنفسٍ أدّت إلى ربّها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في اللّيل غمضها، حتّى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، وتوسّدت كفّها، في معشرٍ أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم، وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم [﴿أُولئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فاتّق الله يابن حنيفٍ، ولتكفف أقراصك، ليكون من النّار خلاصك]».

***

عثمان بن حنيف الأنصاري

عثمان بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عمرو، وقيل أبا عبدالله. كانت أوّل مشاهده مع رسول الله صلى الله عليه وآله أحد على قول.

ولّاه عمر على مساحة الأرض وجبايتها وضرب الخراج، ولما استشار أصحابه فيمن يولّي على هذه المهمّة أشاروا عليه بعثمان بن حنيف وقالوا: انّ له بصراً وعقلاً ومعرفة وتجربة[1].

كان رحمه الله من الاثني عشر الذين احتجوا على أبي بكر بعد خلافته، وقال هو فيما قال بعد ما ذكر حديث أهل بيتي نجوم الأرض: «فلا تكن يا أبا بكر أوّل كافر به ﴿**لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[2].

استعمله أمير المؤمنين عليه السلام بعد استخلافه على البصرة وكان بها إلى أن جاء طلحة والزبير، فتقاتلوا إلى أن كتبوا بينهم عهداً بالهدنة حتى يجيء علي عليه السلام، فغدروا به وأخذوه أسيراً وضربوه ضرب الموت،

---

(١) الاستيعاب لابن عبدالبر ٣: ١٠٣٤.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ١: ١٠٣.

ونتفوا حاجبيه وأشفار عينيه وكل شعرة في رأسه ووجهه، وجاؤوا به إلى عائشة، فقالت لأبان بن عثمان: أخرج إليه فاضرب عنقه، فإنّ الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله. فهددهم بأخيه سهل والي المدينة بأنّه سيقتل وينكل بذويهم فتركوه، ولما جاء إلى علي عليه السلام بكى وقال: فارقتك شيخاً وجئتك أمرد، فقال علي عليه السلام: «انّا الله وإنّا إليه راجعون» قالها ثلاثاً[1].

ثم انّه سكن الكوفة بعد علي عليه السلام ومات زمن معاوية.

***

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٩: ٣٢١.

آداب حضور الولائم للوالي

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أما بعد يا بن حنيف فقد بلغني انّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتُنقل إليك الجفان، وما ظننت انّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّه، وغنيّهم مدعوّ».

(فتية) جمع فتى: الشاب الحدث أو السخي (مأدبة) بضم الدال الطعام يدعى إليه (الجفان) جمع جفنة أي القصعة (العائل) الفقير (مجفوّ) أي مطرود وممنوع.

يبيّن أمير المؤمنين عليه السلام هنا آداب حضور الولائم للوالي، ويذكّر عثمان بن حنيف وغيره ممّن يحوز موقعية اجتماعية مرموقة، ويمثّل كياناً دينياً، سيّما في فترة الفتن وخبط الحق والباطل، بالتأنّي وعدم الاسراع إلى استجابة أيّ دعوة إلّا بعد دراسة جميع جوانبها، حتى لا يقع في شبك أصحاب الفتن.

فقوله عليه السلام: «فأسرعت إليها» يشير إلى ما ذكرنا من لزوم التأنّي والتفكر ودراسة الأمور من جميع الجوانب ثم الاقدام إذا اقتضت المصلحة. أما الاسراع إلى هكذا مجالس، والانغمار في ملاذ الطعام والشراب والإكثار منهما، كما يشير إليه قوله عليه السلام: «تستطاب لك

الألوان...» سيّما وانّ الفقراء مطرودون منه، ولم يحضر سوى الأغنياء المترفين، أمر غير محبّذ شرعاً للوالي أو لمن له مسؤولية اجتماعية ودينية.

آداب الطعام

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه».

(القضم) الأكل بأطراف الأسنان (المقضم) المأكل (الفظه) اطرحه من فمك.

يشير عليه السلام هنا إلى بعض آداب الطعام، حيث يؤكّد على لزوم اهتمام الإنسان بطيب مأكله ومشربه سواء في حياته الفردية أو في حياته الاجتماعية وعند حضور الولائم، وهنا يأمر الإمام عليه السلام عامله على البصرة بترك المشتبه فيه وتناول المستيقن بحليّته.

لزوم القدوة

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ألا وإنّ لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه».

يذكر عليه السلام هنا لزوم القدوة للاستضاءة بنور علمه والأخذ منه، إذ الإنسان يجهل بكثير من المسائل التي تخصّ حياته الدنيويّة في المجال الفردي والاجتماعي، والتي تكون السبب في سعادته الأخروية، لذا لابدّ له من قدوة يأتمّ به ويستضيء بنوره لينال سعادة الدارين.

زهد أمير المؤمنين عليه السلام

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ألا وانّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وأنّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسواد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه إلّا كقوت أتان دبرة، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفطة مقرة».

(الطمر) الثوب البالي الخلق (التبر) الذهب (الوفر) المال (الأتان الدبرة) هي التي عقر ظهرها فقلّ أكلها (مقرة) مرّة.

يذكر هنا عليه السلام زهده وكيفية سلوكه في الدنيا، حيث اكتفى من الملبس بثوبين ومن المطعم بقرصين، وهما ـ أي الملبس والمطعم ـ من أبرز معالم الدنيا حيث نرى اهتمام كثير من الناس بهما، وبتبعهما تتولد

كثير من معالم دنيوية أخرى كالحرص والطمع والكبر والجشأ والاحتكار وغيرها، ولذا خصّهما أميرالمؤمنين عليه السلام بالذكر وقال: «قد اكتفى من دنياه».

ثم صرّح عليه السلام بأنّ هذا من مختصّات نفسه القدسيّة ولا يتحمّله غيره، ولكن هذا لا يعني اهمال النفس والانغماس في الدنيا وملاذها، بل وضع برنامجاً تربوياً لخصّه في مواد أربعة وهي:

١ـ **الورع**: وهو تحصّن النفس عن الرذائل، والاجتناب عن المحارم.

٢ـ **الاجتهاد**: في تحرّي الحقيقة، والعمل على مقتضى الوظيفة، وتحمّل الكدّ والأذى في سبيل الحق.

٣ـ **العفة**: وهي ضبط النفس عمّا لا يحلّ ولا ينبغي من المشتهيات وما فيه الرغبات.

٤ـ **السداد**: وهو تحكيم المعرفة بالأمور والأخذ باليقين، وتحكيم العمل بدقّة في تقرير شرائطه وكيفياته وعدم التسامح فيه[1].

ثم يبدأ عليه السلام ويشرح سيرته في حياته الدنيوية تأييداً وعلّة للحكم بعدم قدرتنا على ما هو عليه، فحلف عليه السلام وذكر انّه ما اكتنز من مال الدنيا ذهباً ولا فضّة، كما صنع غيره من الصحابة الذين اغترّوا

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢٠: ٨٦.

بالدنيا وخلّفوا ما لا يعـد ولا يحصى وما كان يكسر بالفؤوس. ولا ادخر عليه السلام من الغنائم التي انهالت على المسلمين أيام الفتوحات مالاً ولا ثروة بل كان يصرف الفائض عن مؤونته في الباقيات الصالحات وينفقه على الفقراء، ولا أعدّ لبالي ثوبه الخلق ثوباً آخر، ولا امتلك من الأراضي الكثيرة التي وزّعت على المسلمين شبراً، بل كان يحبّسها لله تعالى بعد ما يحييها، أو كان ينفق ما يحصل منها على المسلمين ولم يأخذ منه إلّا كقوت أتان دبرة، وهي التي عقر ظهرها فقلّ أكلها، وذلك كلّه لأنّ الدنيا في عينه أهون من عفطة مقرة أي مرّة، فكم ترى قيمة العفطة فالدنيا عند أمير المؤمنين عليه السلام أهون منها.

انّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقم للدنيا وزناً، لذا تراه كثير الذم لها، فتارة يجعلها أهون من عفطة، وأخرى يخاطبها ويقول لها: «يا دنيا يا دنيا، إليك عنّي، أبي تعرّضت، أم إليّ تشوّقت، لا حان حينك، هيهات غرّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير» قصار الحكم: ٧٢.

وتارة ثالثة يقول: «والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم» قصار الحكم: ٢٢٧.

ورابعة يقول أيضاً: «انّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها» الخطبة: ٢٢٣.

فدك

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله».

قوله عليه السلام: «بلى كانت في أيدينا فدك» قد سبق وأن خصّصنا بحثاً مستقلاً حول فدك ضمن سلسلة في رحاب نهج البلاغة، وهنا نعيد موجز ذلك البحث بمناسبة المقام.

قيل: سمّيت فدك بفدك لأنّ أول من نزلها كان اسمه فدك بن حام فسمّيت باسمه[1].

وهي قرية كبيرة بقرب خيبر ذات نخل كثير وفيها عين فوّارة، كانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاءه الله عليه، إذ لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب بل فتحت صلحاً.

ففي سنن أبي داود: «بقيت بقية من أهل خيبر تحصّنوا، فسألوا النبي صلى الله عليه وآله أن يحقن دماءهم ويسيّرهم ففعل، فسمع بذلك أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك، فكانت للنبي صلى الله عليه وآله خاصة لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب»[2].

---

(١) راجع معجم البلدان: ٤/ ٢٤٠، أجأ.

(٢) سنن أبي داود ٣: ١٦١ ح٣١٦، تاريخ المدينة لابن شبة: ١/ ١٢٠ ح٥٤٢.

والأصل في هبة فدك لفاطمة الزهراء عليها السلام قوله تعالى في محكم كتابه الكريم لرسوله المصطفى صلى الله عليه وآله: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً**﴾ الإسراء: ٢٦.

وقد استفاضت الروايات عن طريقنا وعن طرق أهل السنة بانّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى فدكاً لفاطمة عليها السلام بأمر من الله تعالى، وفيما يلي نورد بعض ما ورد عند الفريقين وبما يناسب هذا المختصر.

أما ما ورد في مصنفاتنا، ففي الكافي عن الإمام الكاظم عليه السلام وهو يخاطب المهدي العباسي: «انّ الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه صلى الله عليه وآله فدك وما والاها، لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ**﴾ فلم يدر رسول الله من هم، فراجع في ذلك جبرئيل وراجع جبرئيل عليه السلام ربه، فأوحى الله إليه: أن ادفع فدك إلى فاطمة، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: يا فاطمة انّ الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله من الله ومنك، فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها...»[1].

وفي الأمالي للصدوق عن الإمام الرضا عليه السلام في معرض حديثه مع المأمون وغيره من علماء الأمة آنذاك: «والآية الخامسة قول الله عزّوجلّ: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ**﴾ خصوصية خصّهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم

---

(١) الكافي للكليني: ١/ ٥٤٣، ح٥.

على الأمة، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ادعوا لي فاطمة، فدعيت له فقال: يا فاطمة، قالت: لبيك يا رسول الله، فقال: هذه فدك، هي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وهي لي خاصة دون المسلمين، وقد جعلتها لك لما أمرني الله به، فخذيها لك ولولدك»[1].

وفي الاحتجاج للطبرسي عن أبي عبدالله عليه السلام في معرض كلامه عن طلب أبي بكر البينة وشهادة أم أيمن بذلك وأنّها قالت: «فأشهد انّ الله عزّوجل أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ**﴾ فجعل فدكاً لها طعمة بأمر الله»[2].

وفي المناقب لابن شهر آشوب في ذكر فتح فدك: «فنزل: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ**﴾ قال: وما هو؟ قال: أعط فاطمة فدكاً وهي من ميراثها من أمها خديجة ومن أختها هند بنت أبي هالة، فحمل إليها النبي صلى الله عليه وآله ما أخذ منه، وأخبرها بالآية فقالت: لست أحدث فيها حدثاً وأنت حيّ أولى بي من نفسي، ومالي لك، فقال: أكره أن يجعلوها عليك سبة فيمنعوك إياها من بعدي، فقالت: أنفذ فيها أمرك، فجمع الناس إلى منزلها وأخبرهم انّ هذا المال لفاطمة، ففرقه فيهم وكان كل سنة كذلك، وتأخذ منه قوتها، فلما دنت وفاته دفعه إليها»[3].

---

(١) الأمالي للصدوق: ٦١٩ ح١، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢١١.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ١/ ١٢١.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب: ١/ ١٢٣.

وفي تفسير العياشي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «لما أنزل الله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَالْـمِسْكِينَ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل قد عرفت المسكين فمن ذوي القربى؟ قال: هم أقاربك، فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فقال: انّ ربي أمرني أن أعطيكم مما أفاء الله عليّ، قال: أعطيتكم فدك»(١).

وفيه عن ابن تغلب قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أكان رسول الله أعطى فاطمة فدكاً؟ قال: كان لها من الله(٢).

وفيه عن عطية العوفي قال: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله خيبر وأفاء الله عليه فدك، وأنزل عليه: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ﴾ قال: يا فاطمة لك فدك(٣).

وفي تفسير القمي: «وقوله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ يعني قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنزلت في فاطمة عليها السلام، فجعل لها فدك...»(٤).

وفي تفسير فرات الكوفي عن أبي مريم قال: سمعت جعفر عليه السلام يقول: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ﴾ أعطى رسول

---

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٢٨٧، ح٤٦.

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٢٨٧، ح٤٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٢٨٧، ح٥٠.

(٤) تفسير القمي: ٢/ ١٨.

اللهﷺ فاطمة فدك، فقال أبان بن تغلب: رسول الله أعطاها؟ قال: فغضب جعفر ثم قال: الله أعطاها»[1].

وفيه عن أبي سعيد الخدري قال: «لما نزلت: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ﴾ قال: دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك»[2].

أما عن طرق أهل السنة فما رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ﴾ دعا النبي ﷺ فاطمة وأعطاها فدك»[3].

وفي كنز العمال للمتقي الهندي عن أبي سعيد الخدري قال: «لما نزلت: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ﴾ قال النبي ﷺ، يا فاطمة لك فدك» ك في تاريخه وقال: تفرّد به إبراهيم بن محمد بن ميمون عن علي بن عابس (ابن النجار)[4].

وفي الدر المنثور للسيوطي قال: أخرج البزار وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك».

---

(١) تفسير فرات: ٢٣٩، ح٣١٢.

(٢) تفسير فرات: ٢٣٩، ح٣١٣.

(٣) مسند أبي يعلى: ٢/ ٣٣٤، ح١٠٧٥.

(٤) كنز العمال للمتقي: ٣/ ٧٦٧، ح٨٦٩٦.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ﴾ أقطع رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فدكاً»[1].

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري قال: «لما نزلت: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدكاً»[2].

هذا عدا ما ورد في باقي مصادر أهل السنة من طلب أبي بكر البينة على هذه الهدية، وسيأتي بيانها في مورده إن شاء الله تعالى.

قوله عليه السلام: «فشحّت عليها نفوس قوم».

ونتكلّم هنا عن هذا المقطع أيضاً ضمن النقاط التالية:

١ـ بداية المؤامرة:

توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وترك ثروة هائلة من الأراضي والحيطان والأموال، كان يصرف أكثرها في مصالح المسلمين ولم يدخر لنفسه إلّا قوته وقوت عياله، وهذه الأموال انتقلت بعده إلى فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذا ما كان يقلق صنّاع السقيفة.

روى الطبراني عن عمر قال: «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جئت أنا وأبو بكر إلى علي، فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله؟ قال: نحن أحق

---

(١) الدر المنثور للسيوطي: ٤/ ١٧٧.

(٢) شواهد التنزيل للحسكاني: ١/ ٤٣٩، ح٤٦٩.

الناس برسول الله وبما ترك، قال: فقلت: والذي بخيبر؟ قال: والذي بخيبر، قلت: والذي بفدك؟ قال: والذي بفدك، قلت: أما والله حتى تحزّوا رقابنا بالمناشير فلا والعذرات»[1].

بعد هذا الاجتماع خلى عمر بأبي بكر وقال له: «انّ الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها، فامنع عن عليّ وأهل بيته الخمس والفيء وفدكاً، فإنّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا علياً وأقبلوا إليك رغبة في الدنيا ومحاماة عليها، ففعل أبو بكر ذلك وصرف عنهم جميع ذلك»[2].

فالمتغلّبون على الحكم كانوا بحاجة إلى دعم موقفهم مالياً، لاستمالة القلوب، وتطميع العشائر، وسدّ نفقات الجيش الذي جهّزه رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك قتال المرتدين زائداً إسكات المعارضة وغيرها من الأمور التي تحتاجها الحكومة، ومن جهة ثانية كان لهم تخوّف من جهة الأموال التي سيحوزها عليّ عليه السلام حيث بإمكانه أن يستميل القلوب بها ـ بحسب زعمهم ـ وسوف يتكرّر التاريخ مرّة ثانية، فتأتي أموال الزهراء عليها السلام لنصرة عليّ كما نصرت أموال خديجة رسول الله صلى الله عليه وآله فيما مضى.

ولذا نرى انّ أبا بكر كان يبخس حق أهل البيت في العطاء من الخمس بعد ما استقرّ له الأمر، فقد روى البيهقي عن جبير بن مطعم انّه قال: «وكان أبو بكر يقسّم الخمس نحو قسم رسول الله صلى الله عليه وآله غير انّه

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٥: ٢٨٨.

(٢) الكشكول فيما جرى على آل الرسول: ٢٠٣، عنه البحار: ٢٩: ١٩٤.

لم يكن يعطي قربى رسول الله ﷺ ما كان النبي يعطيهم منه، قال: وكان عمر يعطيهم منه وعثمان بعده»[1].

وهذا رغم انّه حلف وقال عند ما طالبته الزهراء بالميراث وبما بقي من خمس خيبر: «وانّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله ﷺ»[2].

وتفسير هذا التناقض انّ أبا بكر لما عزم على سدّ المنافذ المالية على عليّ عليه السلام، أراد أن يتخلّص من شدّة نقد الزهراء عليها السلام فتكلّم معها بلين وسهولة وحلف لها بأنّه سيوفّي حقوقهم كاملة، لكن لما هدأت الأمور حنث يمينه ولم يعدل، ولما جاء دور عمر وعثمان وقد أمنا جانب عليّ عليه السلام وشيعته أرجعا الأمر على ما كان عليه.

وهذه الخلفيات في منع العترة عن الوصول إلى حقهم المالي كانت معروفة عند الشيعة منذ القديم، فقد ذكر ابن أبي الحديد عن بعض الشيعة، وقال: «قال لي علوي من الحلة يُعرف بعلي بن مهنا ذكيّ ذو فضائل: ما تظنّ قصد أبي بكر وعمر بمنع فاطمة فدك؟ قلت: ما قصدا؟ قال: أرادا ألّا يظهرا لعليّ ـ وقد اغتصباه الخلافة ـ رقة ولیناً وخذلاناً، ولا يرى عندهما خوراً، فأتبعا القرح بالقرح.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٣٤٢، سنن أبي داود: ٢: ٢٦.

(٢) صحيح البخاري: ٥: ٨٢، صحيح مسلم: ٥: ١٥٤.

وقلت لمتكلّم من متكلّمي الإمامية يُعرف بعلي بن تقي من بلدة النيل: وهل كانت فدك إلّا نخلاً يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطر؟! فقال لي: ليس الأمر كذلك بل كانت جليلة جداً، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلّا ألّا يتقوّى عليّ بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا أتبعا بمنع فدك وعليّ وسائر بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس، فإنّ الفقير الذي لا مال له تضعف همّته ويتصاغر عند نفسه ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرياسة»[1].

والخلاصة انّ المؤامرة هكذا حيكت، إلى أن تنبّه أبو بكر لصياغة حديث يحسم مادة الخلاف بكل سهولة، إذ أصبح خليفة المسلمين، وقد أسكت الخصوم بأنواع الوسائل من تطميع إلى تهديد وما شاكل، فاستقر الأمر على وضع حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله يشير إلى انّ ما تركه يكون صدقة.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: «اختلفوا في ميراثه صلى الله عليه وآله فما وجدوا عند أحد من ذلك علماً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: انّا معاشر الأنبياء ما نورّث ما تركناه صدقة»[2].

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦: ٢٣٦.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١: ٧٣، وأنظر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٠: ٣١١، كنز العمال للمتقي ١٢: ٤٨٨، ح ٣٥٦٠٠، الصواعق المحرقة لابن حجر ١: ٨٥.

وفي تاريخ المدينة لابن شبة انّ الزهراء عليها السلام راجعت أبا بكر في ميراث النبي فردّها بكلام وأرسلها إلى عمر «فذكرت له مثل الذي ذكرت لأبي بكر بقصته وحدوده، فقال لها مثل الذي كان راجعها به أبو بكر، فعجبت فاطمة وظنّت أنهما قد تذاكر ذلك واجتمعا عليه»[1].

مما يعطي صورة واضحة عن أبعاد المؤامرة.

٢ـ موقف الزهراء عليها السلام :

كان موقف الزهراء عليها السلام أمام هذه الظليمة التي تعدّ الثانية بعد غصب الإمامة، المطالبة والمقاطعة، حيث أصرّت في البداية على المطالبة بحقها الشرعي، ثم بعد ما رأت عدم الاستجابة قاطعت السلطة إلى آخر حياتها الطاهرة، حتى أنّها لم ترتض حضور القوم في مراسم تجهيزها.

انّ مطالبة الزهراء عليها السلام كانت مختلفة، حيث أنّها طالبت منهم جميع تركة رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك طالبت بفدك نحلتها من أبيها، كما أنّها طالبت بسهم ذوي القربى، ولكن كانت لفدك خصوصية أخرى حيث أصبحت رمزاً لسائر المطالبات وأخذت قصب السبق.

طبعاً اختلفت الروايات في كيفية المطالبة بفدك، فبعضها دلّ على أنّها عليها السلام طالبتها بعنوان النحلة، والبعض الآخر دلّ على أنّها طالبتها

---

(١) تاريخ المدينة: ١: ١٣١، ح٥٧٣، شرح النهج: ١٦: ٢٣١.

بعنوان الإرث، وتبعاً لاختلاف الأخبار في شأن فدك، اختلفت آراء العلماء أيضاً إلى عدّة أقوال:

١ـ قال المولى الأنصاري في اللمعة البيضاء: «اعلم أنّه قد تبيّن ممّا ذكر من الأخبار والروايات والخطب والاحتجاجات المذكورة في أمر فدك، وادعاء فاطمة عليها السلام لها، أنّه كان لفاطمة فيها دعويان: أولاهما وهي الدعوى الحقيقية انّ فدك كانت نحلة وعطية لها من قبل أبيها في حال حياته، وكانت في تصرفها وقبضها، وكان فيها وكيلها حتى أخرجه أبو بكر منها يوم تصدّى لأمر الخلافة وغصبها. ثانيهما وهي الدعوى الصورية الصادرة على سبيل التنزّل عن الدعوى الأولى من باب المماشاة مع الخصم وتبكيته في المرحلة الثانية، أنّها كانت إرثاً لها من أبيها ولم يكن له وارث غيرها»[١].

وعلّل السيد المرتضى هذا بقوله: «لأنّ للمدفوع عن حقه أن يتوصّل إلى تناوله بكل وجه وسبب»[٢]، وقال الشيخ الطوسي أيضاً: «لأن من له الحق إذا منع منه من وجه جاز له أن يتوصل إليه بوجه آخر»[٣].

٢ـ قال الشيخ حسن زاده الآملي في تتميمه لكتاب «منهاج

---

(١) اللمعة البيضاء للأنصاري: ٧٨٢.

(٢) الشافي للمرتضى: ٤: ١٠١.

(٣) التبيان للطوسي: ٦: ٤٦٨.

البراعة»: «لابد وأن يكون في بحث فاطمة عليها السلام مع أبي بكر دعوتان:

١ـ دعوى فدك بعنوان النحلة لا بعنوان الميراث.

٢ـ دعوى ميراث النبي ممّا تركه من غير فدك، وهي أمور: منها سهمه بخيبر، ومنها سهم الخمس الذي كان له في حياته من سهم الله وسهم الرسول، ومنها سائر ما يملكه من الدار والمتاع وغيرهما، وقد حازها كلها أبو بكر بحجة ما تفرّد بروايته من قوله: «لانورث ما تركناه صدقة» فدعوى الهبة والإرث لم تتعلّق بموضوع واحد وهو فدك، بل الهبة متعلّقة بفدك، ودعوى الإرث بغيرها».

إلى أن قال: «والأصح انّ مورد دعوى النحل خصوص فدك ولم يرد عليها دعوى الإرث أصلاً لا قبلها ولا بعدها، ومورد دعوى الإرث سائر ما تركه رسول الله من سهمه بخيبر وسهمه في الخمس وغير ذلك من متاعه، وقد تصرّف أبو بكر في جميع ذلك وقام مقامه كلًّا»[1].

وتبعه على ذلك المرحوم الشيخ على الأحمدي الميانجي في كتابه «أصول مالكيت در إسلام»[2].

٣ـ قال الشيخ المظفر رحمه الله في دلائل الصدق: «...انّها إنّما ادعت استحقاق متروكات النبي صلى الله عليه وآله مطلقاً بالإرث أو ما عدا فدك، فلاينافي

---

(١) منهاج البراعة: ٢٠: ٩٤ـ ٩٦.

(٢) أصول مالكيت در إسلام: ١٣٣.

دعواها بعد ذلك استحقاق خصوص فدك بالنحلة، ولو سلّم أنّها سمّت فدك في دعوى الميراث فلا بأس به لأنّ الشخص لا يلزم بالإقرار اللزومي ما لم يكن محل القصد في الإقرار، وإلّا فالإشكال وارد أيضاً على تقدير تقدم دعوى النحلة، لأنّ دعوى النحلة تستلزم إقرارها بأنّ فدك ليست من مواريث رسول الله صلى الله عليه وآله وأملاكه، فكيف تدعي بعد ذلك الميراث لها، وهذا مما لا يقوله أحد، فلابدّ من القول بأنّ الإقرار اللزومي غير معتبر، وبالجملة لم تقصد سيدة النساء عليها السلام في الدعويين إلّا انّ المال لها بلا خصوصية للأسباب إذ لا غرض لها يتعلّق بذوات الأسباب، وإنّما ذكرتها آلة للتوصّل إلى ملكها، فلا يضرّ ذكرها وإن استلزم كل سبب لها عدم مسبب آخر... وكيف كان فقد ظهر مما بيّنّا أنّ الزهراء في دعوى الإرث قد طالبت بجميع متروكات النبي صلى الله عليه وآله التي قبضها أبو بكر بلا فرق بين فدك ومال بني النظير وسهمه من خمس خيبر وغيرها، نعم في دعوى النحلة إنّما طالبت بخصوص فدك لأنّها هي التي نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله وبها طال النزاع...»[1].

٤ ـ قال السيد محمد تقي النقوي في مفتاح السعادة: «إن قلت: يظهر من خطبتها المشهورة وغيرها انّ فدك كانت ميراثاً لها: «أترث أباك ولا أرث أبي» وأمثال ذلك من العبارات، مع انّ الظاهر من الأخبار خلافه، وانّها كانت ملكاً لها إذ وهبها الرسول في حياته.

---

(١) دلائل الصدق للمظفر: ٣: ق١، ص٤٣.

قلت: يمكن أن يكون الوجه في تعبيرها بالميراث أحد أمرين: أحدهما انّ الرسول صلى الله عليه وآله قد وهبها إياها عوائدها ما دام حياً، وكانت فدك باقية على ملكية الرسول، ثم بعد موته صارت ميراثاً لها، ونظائره كثيرة في الآباء بالنسبة إلى أولادهم. وثانيهما انّها قد علمت إنكارهم الهبة، وانّ الرسول أعطاها إياها بأمر من الله، وحيث رأت عليها السلام ذلك ادّعت كونها إرثاً...»[1].

٥ـ وأخيراً ربما يقال ـ لو ساعدت النصوص على ذلك ـ: انّ للرسول صلى الله عليه وآله في فدك سهمين: سهم وهبه لفاطمة، وآخر كان لنفسه وصار تركة. كما استقرب ذلك الشيخ حسن زاده الآملي من رواية مجيء فاطمة عليها السلام والعباس إلى أبي بكر وفيها: «وهما حينئذٍ يطلبان أرضه بفدك وسهمه بخيبر» حيث قال: «مع احتمال أن يكون أرضه بفدك غير ضيعة فدك، بل قطعة أرض مخصوصة فيها» انتهى[2].

ويدعم هذا القول ما ورد عن لسان عائشة: «وهما يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر» حيث انّ (من) الثانية تدلّ على البعضية أي بعض سهمه من خيبر، لأنّ خيبر لم تكن بأجمعها خالصة للرسول صلى الله عليه وآله فلابدّ أن تكون في الأولى أيضاً للتبعيض أي بعض أرضه من فدك ولم تكن (من) هنا بيانية. وكذلك ما جاء عن فاطمة عليها السلام في محاججتها مع

---

(١) مفتاح السعادة للنقوي: ١٥: ٣٤٠.

(٢) منهاج البراعة: ٢٠: ٩٤.

أبي بكر: «وصافيتنا التي بفدك» أي جزء من فدك، كما يقال مثلاً: داري التي بالمحلّة الفلانية.

فما ورد في كتب أهل السنة من عمر انّه قال: «كان لرسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث صفايا: بنو النظير، وخيبر، وفدك»[1]. يدلّ على أنّ الرسول صلى الله عليه وآله بعد ما صالح أهل فدك وصارت له خالصة إذ لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، اصطفى لنفسه منها صافية ـ إذ انّ الصافية ما كان يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه قبل القسمة[2] ـ ثم أعطى الباقي لفاطمة عليها السلام بحكم الآية القرآنية، فالزهراء عليها السلام تستحق بعض فدك بالإرث وهي صافية رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعضها الآخر بالهبة وهي ما أعطاها في حياته وتصرفت فيها.

ويؤيده عبارة ابن أبي الحديد: «وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وله ضياع كثيرة جليلة جداً بخيبر وفدك وبني النضير...»[3] فإنّ السياق يدلّ على البعضيّة، لأنّه صلى الله عليه وآله كان يملك بعض خيبر وبني النضير لاجميعها، فكذلك لابدّ وأن يكون في فدك. وهذا مجرد احتمال لا نقطع به، والأمر بحاجة إلى متابعة أكثر.

---

(١) سنن أبي داود٢: ٢٣، ح٢٩٦٧ وغيره.

(٢) الصحاح للجوهري: ٦/ ٢٤٠٢، لسان العرب لابن منظور: ١٤/ ٤٦٢.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٥/ ١٤٧.

٣ـ حديث: «لا نورث»:

سبق وأن ذكرنا بأنّ أصحاب المؤامرة اتجهوا لمنع العترة من حقوقهم المالية بدوافع شتى، وكان لرواية أبي بكر: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» الضربة القاضية لإسكات المعارضة. وأوّل من تصدّى لدفع هذه الأكذوبة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكية حيث ناقشت الخليفة بمسألة الميراث وصحة توارث الأنبياء بنص القرآن، كما سيوافيك بيانه.

ولعلمائنا الأعلام مناقشات مع هذا الحديث نوجزها فيما يلي:

١ـ تفرّد أبو بكر برواية هذا الحديث في بداية الأمر، قال ابن أبي الحديد بعد رواية مضمون الخبر عن أبي هريرة: «هذا حديث غريب، لأنّ المشهور أنّه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلّا أبو بكر وحده»[1].

وقال عقيب مخاصمة علي والعباس أمام عمر في الميراث: «وهذا أيضاً مشكل، لأنّ أكثر الروايات أنّه لم يرو هذا الخبر إلّا أبو بكر وحده، ذكر ذلك أعظم المحدّثين، حتى انّ الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد. وقال شيخنا أبو علي: لا تقبل في الرواية إلّا رواية اثنين كالشهادة، فخالفه المتكلّمون والفقهاء كلّهم، واحتجوا عليه بقبول الصحابة رواية أبي بكر وحده:

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦: ٢٢١.

نحن معاشر الأنبياء لا نورث»[1].

وقال في مكان آخر : «أما عقيب وفاة النبي صلى الله عليه وآله ومطالبة فاطمة عليها السلام بالإرث، فلم يرو الخبر إلّا أبو بكر وحده»[2].

وعليه لا يمكن قبول قوله في هكذا أمر مهم، حيث يقابل نصّ القرآن ويردّه العترة ثاني الثقلين، سيّما انّ أبا بكر في موضع التهمة، وذلك لوضوح المؤامرة.

٢ـ ثبوت توارث الأنبياء عليهم السلام فيما بينهم ينفي الحديث المذكور رأساً ويكذّبه، كما في قوله تعالى عن لسان زكريا: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا»[3]، وكذلك قوله تعالى: «وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ» فهاتان الآيتان وغيرهما ممّا دلّ على ثبوت الإرث، يدل بوضوح على ثبوت التوارث للأنبياء وغيرهم.

مضافاً إلى انّ قول زكريا عليه السلام: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ يؤكد المدعى وينفي إرادة وراثة النبوة، إذ من غير المعقول أن يكون النبي غير مرضي، كما لا يصح أن يقول الإنسان: اللهم ابعث إلينا نبياً واجعله عاقلاً مكلفاً[4].

---

(١) المصدر نفسه: ١٦: ٢٢٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٦: ٢٤٥.

(٣) مريم: ٥ ـ ٦.

(٤) راجع تلخيص الشافي للطوسي: ٣: ١٣٣.

ثم انّ النبوة والعلم لا يورثان، كيف والنبوة تابعة للمصلحة العامة مقدّرة لأهلها من أوّل يومها عند بارئها، والعلم موقوف على من يتعرّض له ويتعلّمه[1].

٣ـ حديث أبي بكر مخالف للقرآن ـ كما مرّ ـ وقد ثبت عندنا في أصول الفقه في باب التعادل والتراجيح لزوم عرض الخبر على القرآن، فإذا وافقه أخذنا به وإذا خالفه ضربنا به عرض الجدار، وحديث أبي بكر مخالف للقرآن فلا يؤخذ به.

٤ـ خفاء هذا الحديث على أهل البيت عليهم السلام وعدم تبيين النبي لهم، من أقوى الأدلة على نفيه، «كيف يجوز أن لا يبيّن النبي صلى الله عليه وآله لأهله... فيعلموا أنّه لا حق لهم في الميراث، فلا يتعرّضوا للفضيحة وقلّة المعرفة وموضع التهمة للمطالبة بما لا يستحقون»[2]، وأيضاً: «انّ عدم علمهم به يستلزم جهلهم و قلّة معرفتهم حاشاهم، لأنّ من يجهل مثل هذا الحكم المختصّ به مع ملازمته النبي صلى الله عليه وآله ليله ونهاره، واتخاذ داره داره، ونزول الوحي في مسكنه، كان أولى أن يجهل غيره»[3].

مضافاً إلى انّ مقاطعة الزهراء عليها السلام للقوم وغضبها عليهم وهجرانها لهم دليل على تكذيبها للخبر، وزد عليه تكذيب علي عليه السلام والعباس للخبر

---

(١) مفتاح السعادة للنقوي: ١٥: ٣٣٩.

(٢) تلخيص الشافي للطوسي: ٣: ١٤٦.

(٣) دلائل الصدق للمظفر: ٣: ق٢ ص١١٨.

عندما اختصما عند عمر في الميراث، واعتقادهما الكذب والخيانة فيمن منع الإرث، ففي صحيح مسلم وجامع الأصول انّ عمر قال لعلي والعباس: قال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا نورث ما تركناه صدقة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّه لصادق بارّ راشد تابع للحق، ثم توفي أبو بكر فقلت: أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله وليّ أبي بكر، فرأيتماني آثماً غادراً خائناً، والله يعلم انّي لصادق بار تابع للحق»[1].

نحن أيضاً نتمسّك بهذا الحديث الصحيح عند القوم، ونرى ما رآه علي عليه السلام، إذ أنّنا لسنا بأقلّ من ابن أبي الحديد الذي يقول: «فأما عليّ عليه السلام فإنّه عندنا بمنزلة الرسول صلى الله عليه وآله في تصويب قوله، والاحتجاج بفعله، ووجوب طاعته، ومتى صحّ عنه أنّه قد برئ من أحد من الناس برئنا منه كائناً من كان»[2].

٥ـ روى البخاري عن عائشة أنّها قالت: «أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وآله عثمان إلى أبي بكر يسألنه ثمنهنّ مما أفاء الله على رسوله، فكنت أردهنّ فقلت لهنّ: ألا تتقين الله، ألم تعلمن انّ النبي صلى الله عليه وآله كان يقول: لانورث ما تركنا صدقة، ـ يريد بذلك نفسه ـ إنّما يأكل آل محمد في هذا المال، فانتهى أزواج النبي صلى الله عليه وآله إلى ما أخبرتهنّ»[3].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢: ٧٥، جامع الأصول: ٢: ٧٠٣ ح١٢٠٢.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٠: ٣٥.

(٣) صحيح البخاري: ٥: ٢٤.

دلّ على انّ عثمان وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وآله بما فيهنّ أم سلمة التي لم يُدخلها الرسول تحت الكساء ولكن قال لها: «انّك على خير» ما علمن بهذا الحديث حتى أعلمتهم به وريثة أبيها حقّاً!!

٦ـ ترك النكير على الزهراء عليها السلام دليل على صدقها، كما ذكر ذلك السيد المرتضى عن الجاحظ في كتابه العباسية حيث قال: «فإن يكن ترك النكير منهم على أبي بكر دليلاً على صواب منعه، انّ في ترك النكير على فاطمة عليها السلام دليلاً على صواب طلبها»(١).

٧ـ إعطاء عليّ عليه السلام سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وبغلته وغيرها من الأمور ينقض الحديث المذكور، وقد تحيّر علماء أهل السنة في تبرير هذا العمل، فذهب ابن أبي الحديد إلى أنّها سلب الميت الذي يأخذه ولد الميت ولا ينازع فيه أحد، ثم لما رأى ركاكة هذه الدعوى قال: «والظاهر أنّه فعل ذلك اجتهاداً لمصلحة يراها»(٢).

وقال ابن حجر صاحب الصواعق: «انّه لم يدفع ذلك لعلي ميراثاً ولا صدقة لما مرّ، بل بطريق الوصية منه صلى الله عليه وآله على ما ورد، وعلى فرض عدم الوصية فيحتمل أنّه دفعهما إليه عارية أو نحوها يستعين بهما في الجهاد، ولتميّزه عن غيره بالشجاعة العظمى أوثر بذلك، ويحتمل انّ

---

(١) الشافي للمرتضى: ٤: ٨٥.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦: ٢٦١.

غيره اشترى ذلك ودفعه إليه»[1].

أما القاضي عبدالجبار فقد قال: «قد يجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وآله نحله ذلك، ويجوز أيضاً أن يكون أبو بكر رأى الصلاح في ذلك أن يكون بيده لما فيه من تقوية الدين، وتصدّق ببذله بعد التقويم»[2].

أقوال متهافتة، واحتمالات ركيكة لا تعتمد على أساس رصين، ولا تدفع الإشكال على الوجه اليقين.

ومن العجائب ـ كما قال السيد المرتضى في ردّ صاحب المغني ـ أن تدّعي فاطمة فدك نحلة، وتستشهد على قولها أمير المؤمنين عليه السلام وغيره فلا يصغى إلى قولها، ويترك السيف والبغلة والعمامة في يد أمير المؤمنين على سبيل النحلة بغير بينة ظهرت ولا شهادة قامت[3].

٨ ـ إبقاء أزواج النبي صلى الله عليه وآله في حجراتهنّ، قال المولى الأنصاري: «قد مكّن أبو بكر أزواج النبي صلى الله عليه وآله في حجراتهنّ بغير خلاف، ولم يحكم فيها بأنّها صدقة، وهذا يناقض منعه في أمر فدك وميراث رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة تلك الرواية، فإنّ انتقالها إليهنّ إما على جهة الإرث أو النحلة، والأوّل مناقض لروايته في الميراث، والثاني يحتاج إلى الثبوت ببيّنة ونحوها، ولم يطالبهنّ بشيء كما طالب فاطمة عليها السلام في دعواها، وهذا من

---

(١) الصواعق المحرقة:١: ١٠٠، الطعن السابع.

(٢) المغني للقاضي عبدالجبار: ٢٠: ق١ ص٣٣١.

(٣) الشافي للمرتضى: ٤: ٨٣.

أعظم الشواهد لمن له أدنى بصيرة على انّ الرواية كانت كاذبة»[1].

قال الشيخ الطوسي في تلخيص الشافي: «وليس لهم أن يقولوا: انّ الحجر كانت لهنّ، لأنّ الله تعالى نسبها إليهنّ بقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ وذلك انّ هذه الإضافة لا تقتضي الملك، بل العادة جارية فيها بأنّها تستعمل من جهة السكنى، وقد قال الله تعالى: ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ ولا شبهة في انّه تعالى أراد منازل الأزواج التي يسكنون فيها زوجاتهم ولم يرد به إضافة الملك. فأما ما روي من قسمة النبي صلى الله عليه وآله الحجر بين نسائه وبناته، فمن أين هذه القسمة تقتضي التمليك دون الإسكان والإنزال؟! ولو كان قد ملكهنّ ذلك لوجب أن يكون ظاهراً مشهوراً»[2].

وقال ابن أبي الحديد تأييداً لهذا الكلام: «والذي ينطق به التواريخ أنّه لما خرج من الغار دخل المدينة وسكن منزل أبي أيوب واختط المسجد، واختط حجر نسائه وبناته، وهذا يدلّ على انّه كان المالك للمواضع، فأمّا خروجها من ملكه إلى الأزواج فممّا لم أقف عليه»[3].

فهذه الأدلة كلها تدلّ على بطلان حديث: «لا نورث» وتدلّ على أنّه حيك لأغراض سياسية لا تمت إلى الواقع بصلة.

---

(١) اللمعة البيضاء للقراجه داغي الأنصاري: ٨٠٢.

(٢) تلخيص الشافي: ٣: ١٢٩ـ ١٣٠، عن الشافي للمرتضى: ٤ / ١٠٤.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٧: ٢١٧.

أما قوله عليه السلام: «**وسخت عنها نفوس قومٍ آخرين، ونعم الحكم الله**».

قال قطب الدين الراوندي: «وسخت عنه نفوس آخرين، هي نفوس أمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة وعترتهم عليهم السلام»[1].

وقال ابن أبي الحديد: «وسخت عنها نفوس آخرين، أي سامحت وأغضت، وليس يعني هاهنا بالسخاء إلّا هذا لا السخاء الحقيقي، لأنّه عليه السلام وأهله لم يسمحوا بفدك إلّا غصباً وقسراً»[2].

وقال ابن ميثم البحراني: «أشار... بالنفوس التي سمحت بها إلى وجوه بني هاشم ومن مال ميلهم»[3].

وقال يحيى بن حمزة من علماء الزيدية: «يشير إلى نفسه وفاطمة والحسن والحسين، وإنّما عدّاه بعن لأنّ السخاوة متضمنة لانقطاع الرغبة عن الشيء المسخو به، فلهذا عدّاه بعن لأنّهم لما رأوا من كثرة المطالبة فيها أهملوها وتركوها»[4].

هذا، ولكن ذهب التستري إلى خلاف هذا وقال: «ثم المراد

---

(١) منهاج البراعة للراوندي: ٣: ١٥٠.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٠: ٢٠٨.

(٣) شرح النهج لابن ميثم ٥: ١٠٢.

(٤) الديباج الوضي ليحيى بن حمزة: ٥: ٢٤٤٧.

بنفوس آخرين التي سخت عنها الأنصار حيث رأوا ذاك الأمر وسكتوا ولم يدافعوا» ثم اعترض على ابن ميثم وابن أبي الحديد وقال: «وتوهّم ابن أبي الحديد وتبعه ابن ميثم انّ المراد بقوله: «وسخت عنها نفوس آخرين» أميرالمؤمنين عليه السلام وأهله فقال: «وليس يعني هاهنا بالسخاء إلّا هذا لا السخاء الحقيقي، لأنّه عليه السلام وأهله لم يسمحوا بفدك إلّا غصباً وقسراً» وما توهّمه في غاية الركاكة»(١).

ونحوه الشيخ حسن زاده الآملي في تتميمه لكتاب منهاج البراعة حيث قال بعد ما نقل رأي ابن أبي الحديد: «يمكن أن يكون المراد من الآخرين هم الأنصار، حيث سكتوا عن مطالبة حقهم وقعدوا عن نصرتهم لاسترداده، وإن لم يبخلوا بكونها في أيديهم، وهذا هو الظاهر لأنّه عليه السلام في مقام الشكوى إلى الله عمّن ظلمه وأهله في غصب فدك، وقد سامح الأنصار في نصرته لردّها بعد مطالبتها من جانب فاطمة عليها السلام»(٢).

أما لماذا لم يسترجع أميرالمؤمنين عليه السلام فدك لّما آلت إليه الخلافة، فأوّلاً انّه عليه السلام أصبح خليفة وبيده بيت المال، فلاحاجة له بها ولا تسدّ شيئاً من نفقات الحكومة، إذ لو كانت بيده لأوقفها للمسلمين كما أوقف سائر ضياعه وممتلكاته، ولم يدخر لنفسه شيئاً.

---

(١) بهج الصباغة للتستري: ٥: ٣٣١، ٣٣٣.

(٢) منهاج البراعة: ٢٠: ٨٨.

وثانياً: جرى المسلمون على انّها صدقة، وانّ الرسول صلى الله عليه وآله لايورث، وكان من أهمّ أسباب نقمة المسلمين على عثمان انّه أقطع فدك لمروان، قال ابن قتيبة في المعارف: «وكان مما نقموا على عثمان انّه... أقطع مروان فدك وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله»(١).

فكيف يرجعها أمير المؤمنين عليه السلام لنفسه ولأولاد فاطمة، والأعداء يتربصون به الدوائر، وهوعليه السلام لم يتمكن من تصحيح البدع المحدثة آنذاك من صلاة التراويح، والمنع عن المتعتين، والتكتّف في الصلاة وغيرها، فكيف بهذه وهي حالة شخصية يكون الإنسان في مظنّة التهمة، هذا ما لا يعمله المحنّك في السياسة، إذ كان هدف أمير المؤمنين عليه السلام الوحيد آنذاك تعبئة الأمة أمام الفتن الداخلية، فلذا نرى انّ جيشه كان يضمّ الخوارج، وقتلة عثمان، والناقمين على القتلة، وضعفاء الإيمان، وغيرهم من شرائح الناس.

وثالثاً: قال الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابه الاقتصاد: «وفي أصحابنا من قال: انّ الخصم في فدك كانت فاطمة عليها السلام، وأوصت إلى علي عليه السلام بأن لا يتكلّم فيها، لتكون هي المخاصمة يوم القيامة لما جرى بينها وبين من دفعها من الكلام المعروف، حتى قالت له: سيجمعني وإياك يوم يكون فيه فصل الخطاب»(٢).

---

(١) المعارف: ١٩٥، وانظر تاريخ أبي الفداء ١: ١٦٨، والعقد الفريد ٤: ٢٨٣.

(٢) الاقتصاد: ٢١٤.

ورابعاً: ما قاله الإمام الكاظم عليه السلام عن سبب ذلك: «لانّا أهل بيت لا نأخذ حقوقنا ممّن ظلمنا إلّا هو ـ يعني الله عزوجل ـ ونحن أولياء المؤمنين، إنّما نحكم لهم ونأخذ حقوقهم ممّن ظلمهم، ولا نأخذ لأنفسنا»[1].

ويدلّ عليه قول أمير المؤمنين الآنف الذكر حيث قال بعد ذكر طمع القوم في فدك: «ونعم الحكم الله» أي انّ الله تعالى هو الذي سيحكم فيها غداً.

القبر

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مظانّها في غد جدث، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر، وسدّ فرجها التراب المتراكم».

بعد ما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام إعراضه عن الدنيا وما فيها، والاكتفاء منها بأقل القليل، وبعد ما عرّج على فدك وما آل إليه أمرها،

---

(١) علل الشرائع للصدوق ١: ١٥٥، والبحار ٢٩: ٣٩٦.

ذكر انّه لم يكترث بذهاب فدك وغير فدك ممّا هو أعظم منها، إذ انّ عاقبة الإنسان الموت والقبر، فالنفس مظانّها أي موضع سكونها في غد الجدث وهو القبر، وفي ظلمته تنقطع أخبار وآثار الإنسان، وحتى لو زيد في حجمه المادي لملأ التراب فرجه.

ولأميرالمؤمنين عليه السلام كلام عن القبر مبثوث في نهج البلاغة، ذكرناه سابقاً في كتاب «منازل الآخرة في نهج البلاغة» نعيده هنا تتميماً للفائدة، ضمن النقاط التالية:

١ـ وحشة القبر وضيقه وغربته:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وأعلقت المرء أوهاق المنية، قائدة له إلى ضنك المضجع، ووحشة المرجع... وقد غودر في محلة الأموات رهيناً، وفي ضيق المضجع وحيداً... ثم أدرج في أكفانه مبلساً، وجذب منقاداً سلساً، ثم أُلقي على الأعواد رجيع وصب، ونضو سَقَم، تحمله حفدة الولدان، وحشدة الاخوان إلى دار غربته، ومنقطع زورته» الخطبة: ٨٢.

وقال عليه السلام: «واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشد منّا قوة، حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً، وانزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الصفيح أجنان، ومن التراب أكفان، ومن الرفات جيران، فهم جيرة لا يجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيماً، ولا يبالون مندبة، إن جيدوا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا، جميع وهم آحاد، وجيرة

وهم أبعاد، متدانون لا يتزاورون، وقريبون لا يتقاربون، حلماء قد ذهبت أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، ولا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة» الخطبة: ١١٠.

وقال عليه السلام: «فكأنّ كل امرئ منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته، ومخط حفرته، فيا له من بيت وحدة، ومنزل وحشة، ومُفرد غربة» الخطبة: ١٥٧.

وقال عليه السلام: «كفى واعظاً بموتى عاينتموهم، حملوا إلى قبورهم غير راكبين، وانزلوا فيها غير نازلين، كأنّهم لم يكونوا للدنيا عماراً، وكأنّ الآخرة لم تزل لهم داراً، أوحشوا ما كانوا يوطنون، وأوطنوا ما كانوا يوحشون» الخطبة: ١٨٨.

وقال عليه السلام: «فمحلّها [أي القبور] مقترب، وسكانها مغترب، بين أهل محلّة موحشين، وأهل فراغ متشاغلين، لا يستأنسون بالأوطان، ولا يتواصلون تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار ودنوّ الدار» الخطبة: ٢٢٥.

وقال عليه السلام في صفة أصحاب القبور بانّهم لو نطقوا لقالوا: «كلحت الوجوه النواضر، وخوت الأجساد النواعم، ولبسنا أهدام البلى، وتكاءدنا ضيق المضجع، وتوارثنا الوحشة، وتهكمت علينا الربوع الصموت، فانمحت محاسن أجسادنا، وتنكرت معارف صورنا،

وطالت في مساكن الوحشة اقامتنا، ولم نجد من كرب فرجاً، ولا من ضيق متسعاً» الخطبة: ٢٢٠.

٢ـ تجسّم الأعمال وتلازمها للإنسان:

انّ الأعمال تتجسد للانسان في القبر، فيراها بصورها الحسنة أو القبيحة قال عليه السلام: «وأعلقت المرء أوهاق المنية، قائدة له إلى... معاينة المحل وثواب العمل... والأرواح مرتهنة بثقل أعبائها، موقنة بغيب أنبائها، لاتستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيّئ زللها».

وأشار عليه السلام إلى التلازم القائم بين الانسان وبين عمله وقال عليه السلام: «ثم حملوه إلى مخطّ في الأرض، فأسلموه فيه إلى عمله» الخطبة: ١٠٨.

وقال عليه السلام: «قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة، والدار الباقية» الخطبة: ١١٠، وقال عليه السلام: «لا عن قبيح يستطيعون انتقالاً، ولا في حسن يستطيعون ازدياداً» الخطبة: ١٨٨.

٣ـ ضغطة القبر:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس... واختلاف الأضلاع، واستكاك الأسماع، وظلمة اللحد، وخيفة الوعد، وغمّ الضريح، وردم الصفيح» الخطبة: ١٩٠.

وقال عليه السلام: «وكأنْ قد صرتم إلى ما صاروا إليه... وضمكم ذلك المستودع» الخطبة: ٢٢٥.

ولشدة هذا الأمر وهوله كان الإمام الباقر عليه السلام يتعوذ منه ويقول: «اللهم انّي أعوذ بك من عذاب القبر، ومن ضغطة القبر»[1].

٤ـ تناخر الأجسام:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قد هتكت الهوام جلدته، وأبلت النواهك جدّته، وعفت العواصف آثاره، ومحى الحدثان معالمه، وصارت الأجساد شحبة بعد بضتها، والعظام نخرة بعد قوّتها» الخطبة: ٨٢.

وقال عليه السلام: «سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سلّطت الأرض عليهم فيه، فأكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون، وضماراً لا يوجدون، لا يفزعهم ورود الأهوال، ولا يحزنهم تنكر الأحوال... فلو كانوا ينطقون... فقالوا: كلحت الوجوه النواضر، وخوت الأجساد النواعم، ولبسنا أهدام البلى... فانمحت محاسن أجسادنا، وتنكرت معارف صورنا... فلو مثلتهم بعقلك، أو كشفت عنهم محجوب الغطاء لك، وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت، واكتحلت أبصارهم بالتراب فخسفت، وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها، وهمدت القلوب في

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٥٢٦.

صدورهم بعد يقظتها، وعاث في كل جارحة منهم جديد بلىً سمّجها وسهّل طرق الآفة إليها، مستسلمات فلا أيدٍ تدفع، ولا قلوب تجزع، لرأيت أشجان قلوب، وأقذاء عيون، لهم في كل فظاعة صفة حال لاتنتقل، وغمرة لا تنجلي، فكم أكلت الأرض من عزيز جسد وأنيق لون، كان في الدنيا غذيّ ترف وربيب شرف، يتعلل بالسرور في ساعة حزنه، ويفزع إلى السلوة إن مصيبة نزلت به، ضنّاً بغضارة عيشه، وشحاحة بلهوه ولعبه» الخطبة: ٢٢٠.

وقال عليه السلام في وصف أصحاب القبور وعدم التزاور فيما بينهم مع قرب الجوار: «وكيف يكون بينهم تزاور، وقد طحنهم بكلكله البِلى، وأكلتهم الجنادل والثرى» الخطبة: ٢٢٥.

٥ـ المساءلة في القبر:

من الشدائد التي تواجه الانسان في القبر سؤال منكر ونكير اياه ومحاسبته، ولذا يُلقّن الميّت قبل الدفن وبعد الدفن.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «حتى إذا انصرف المشيّع، ورجع المتفجّع، أُقعد في حفرته نجيّاً لبهتة السؤال، وعثرة الامتحان» الخطبة: ٨٢ .

وقد قال أبو ذر رحمه الله لما وقف على قبر ابنه: «ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، والله ما بكيت لك ولكن بكيت عليك، فليت شعري ما قلت وما قيل لك»[1].

---

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ١٨٥ ح٥٥٨.

التقوى

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«وإنّما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق».

يشير عليه السلام هنا إلى مسألة جهاد النفس وإصلاحها ومتابعة شؤونها، وعلّل ذلك للأمان من يوم الخوف الأكبر وهو يوم القيامة وما فيه من مخاوف، ولتثبت على جوانب المزلق أي مواضع الزلّة كالصراط مثلاً.

ونحوه ما يأتي من قوله عليه السلام: «وايم الله يميناً أستثني فيه بمشيئة الله لأروضنّ نفسي رياضة تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً».

وإنّما خصّ التقوى بالذكر لكونها تشمل جميع مفردات حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، وبسببها تقبل الأعمال كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ المائدة: ٢٧.

لذا نرى تأكيد أمير المؤمنين عليه السلام على مسألة التقوى، فيقول: «وأوصاكم بالتقوى وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه» الخطبة: ١٨٣، وكتب عليه السلام إلى بعض عماله: «اتق الله في كل صباح ومساء» الكتاب: ٥٦.

ولأهمية التقوى في تعديل سلوك الإنسان كان يحث عليها دائماً،

والحثّ على التقوى في كلام أمير المؤمنين عليه السلام أخذ طابع التنوع، فتارة يوصي بها ويقول: «اوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، فانّها النجاة غداً والمنجاة أبداً» الخطبة: ١٦١، وقال عليه السلام: «اوصيكم بتقوى الله، فانّها خير ما تواصى العباد به، وخير عواقب الأمور عند الله» الخطبة: ١٧٣، وقال عليه السلام: «اوصيكم عباد الله بتقوى الله، فانّها الزمام والقوام، فتمسّكوا بوثائقها، واعتصموا بحقائقها» الخطبة: ١٩٥، وهي أحبّ ما أوصى به ابنه الإمام الحسن عليه السلام حيث قال: «واعلم يا بني انّ أحب ما أنت آخذ به اليّ من وصيتي: تقوى الله» الكتاب: ٣١.

وتارة اخرى يجعلها أفضل زاد ويقول: «لا خير في شيء من أزوادها [أي الدنيا] الّا التقوى» الخطبة: ١١٠، وقال عليه السلام: «استظهروا بزاد التقوى» الخطبة: ٢٠٤، وقال عليه السلام: «اوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ، زاد مبلغ ومعاذ منجح، دعا اليها أسمع داع، ووعاها خير واع، فأسمع داعيها، وفاز واعيها» الخطبة: ١١٣.

ولما مرّ عليه السلام بأصحاب القبور وناداهم وسأل عن أحوالهم، قال عقيبه: «أما لو أُذن لهم في الكلام لأخبروكم انّ خير الزاد التقوى» قصار الحكم: ١٢٣.

وقال عليه السلام: «انّكم إلى أزواد التقوى أحوج منكم إلى أزواد الدنيا»[1] وقال عليه السلام: «رحم الله عبداً... جعل الصبر مطية نجاته،

---

(١) تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٥٨٥٩ .

والتقوى عدّة وفاته» الخطبة رقم: ٧٥.

وتارة ثالثة بانّها سبب النجاة حيث قال عليه السلام: «اتقوا ناراً حرّها شديد، وقعرها بعيد، وحليتها حديد، وشرابها صديد» الخطبة رقم: ١١٩، وقال عليه السلام: «انّ تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة، بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتُنال الرغائب» الخطبة رقم: ٢٢٩.

وقال عليه السلام: «انّ الله تعالى أوصاكم بالتقوى وجعلها رضاه من خلقه، فاتقوا الله الذي أنتم بعينه، ونواصيكم بيده»[١] وقال عليه السلام: «التقوى آكد سبب بينك وبين الله إن أخذت به، وجُنّة من عذاب أليم»[٢].

وتارة رابعة بانّها أعلى شيء إذ انّه «لا عزّ أعزّ من التقوى» قصار الحكم: ٣٦٠، و«التقى رئيس الأخلاق» قصار الحكم: ٣٩٩، بل كما قال عليه السلام: «عليك بالتقى فانّه خلق الأنبياء»[٣] و«لا كرم كالتقوى» قصار الحكم: ١٠٧، لانّ «من اتقى ربه كان كريماً»[٤] و«التقوى أزكى زراعة»[٥]

---

(١) تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٥٨٥٤ .

(٢) المصدر نفسه: ٥٨٨٦.

(٣) المصدر نفسه: ٥٨٨٦.

(٤) المصدر نفسه: ٥٨٧٠.

(٥) المصدر نفسه: ٥٨٣١.

و«التقوى ثمرة الدين وامارة اليقين»[1] وقال عليه السلام: «ألا وانّ من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب» قصار الحكم: ٣٧٨.

وتارة خامسة بانّها سبب الخلاص والفرج للانسان، قال عليه السلام: «لو انّ السماوات والأرض كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»[2] وقال عليه السلام: «من اتقى الله سبحانه جعل له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً»[3].

وسادسة بانّها توجب المعيّة مع الله تعالى، حيث قال عليه السلام: «أيسرّك أن تكون من حزب الله الغالبين، اتق الله سبحانه وأحسن في كل امورك، فانّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»[4].

وأخيراً انّ التقوى من الحقوق المتبادلة بين العبد وربّه، يدلّ عليه قوله عليه السلام: «اوصيكم عباد الله بتقوى الله، فانّها حق الله عليكم، والموجبة على الله حقكم، وأن تستعينوا عليها بالله، وتستعينوا بها على الله، فانّ التقوى في اليوم الحرز والجُنة، وفي غدٍ الطريق إلى الجنة، مسلكها واضح، وسالكها رابح، ومستودعها حافظ، لم تبرح عارضة

---

(١) تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٥٩٠٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٥٩٥٠.

(٣) المصدر نفسه: ٥٩٥١.

(٤) المصدر نفسه: ٥٨٤٥.

نفسها على الامم الماضين والغابرين لحاجتهم اليها غداً، إذا أعاد الله ما أبدى، وأخذ ما أعطى، وسأل عمّا أسدى، فما أقلّ من قبلها وحملها حقّ حملها، اولئك الأقلّون عدداً، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾[1] فأهطعوا بأسماعكم اليها، وأكظّوا بجدّكم عليها، واعتاضوها من كل سلف خلفاً، وكلّ مخالف موافقاً» الخطبة: ١٩١.

كما انّها خير دواء لمرض القلوب كما قال عليه السلام: «انّ تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم» الخطبة: ١٩٨.

المواساة

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو باليمامة

---

(١) سبأ: ١٣.

من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشّبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطونٌ غرثى وأكبادٌ حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنةٍ وحولك أكبادٌ تحنّ إلى القدّ

أأقنع من نفسي بأن يقال: أميرالمؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدّهر، أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش».

(القمح) الحنطة (القزّ) الحرير (الجشع) أشدّ الحرص (المبطان) الذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل أو الذي امتلأت بطنه من كثرة الأكل (البطون الغرثي) الجائعة (اكباد حرى) عطشى.

أشار أميرالمؤمنين عليه السلام هنا إلى انّ تركه للدنيا وملاذّها من شراب وطعام وملبس وما شاكل، ليس لأجل عدم القدرة على الوصول إليها، بل إنّما ترك ذلك احتساباً وزهداً ومواساة لأضعف الناس، كما قال عليه السلام في كلام له مع العاصم بن زياد لما ترك الدنيا وهجر الأهل والأولاد فنهاه عليه السلام عن ذلك، ولما اعترض عليه عاصم وذكر له حاله أجابه بقوله: «انّ الله فرض على أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره» الخطبة: ٢٠٩.

وقوله عليه السلام: «ولعل بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له...» يشعر إلى شدّة اهتمامه بمكافحة الفقر الاجتماعي وتحسين الدخل الفردي،

بحيث لم يبق بيت فقير علم به أميرالمؤمنين عليه السلام إلّا وقد وصله، ولذا استخدم كلمة (لعلّ) في كلامه هذا، أي انّه لم يعثر على فقير في انحاء مملكته، ولكن لعلّه يوجد من لم يتعرّف عليه أميرالمؤمنين ولم يتمكّن من الوصول إليه.

وقوله عليه السلام: «أأقنع من نفسي...» الاستفهام هنا استنكاري، أي لا أقنع بهذااللقب من غير أن أكون مشاركاً لهم في الشدائد والمكاره.

هدف الخلقة

قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها، أو المرسلة شغلها تقمّمها، تكترش من أعلافها، وتلهو عمّا يراد بها، أو أترك سدًى، أو أهمل عابثاً، أو أجرّ حبل الضّلالة، أو أعتسف طريق المتاهة».

(التقمّم) أكل الشاة ما بين يديها بمقمّتها أي شفتيها (تكترش من أعلافها) تملأ كرشها من العلف، والكرش للشاة بمنزلة المعدة للإنسان (اعتسف) من الاعتساف أي ركوب الطريق على غير قصد أو السلوك في غير طريق (المتاهة) موضع الحيرة.

ربما أخطأ الكثير منّا في تشخيص الهدف من الخلقة نتيجة الغفلة

والانهماك في الملاذ الدنيوية، وعليه ينتهج نهجاً خطأ ينتهي به إلى الضلال والهلاك، ومن أهمّ أسباب إرسال الرسل والأنبياء عليهم السلام إراءة الطريق وتذكير الإنسان، فقد قال أميرالمؤمنين عليه السلام في سبب إرسال الرسل: «واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقّه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسيّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة...» الخطبة: ١.

أما هنا وفي كتابه عليه السلام لعثمان بن حنيف يذكر انّ هدف الخلقة ليس الانشغال بالمأكل والملبس وسائر الملاذ الدنيوية، حاله حال البهائم التي لا همّ لها سوى الأكل غافلة عمّا يراد بها ومنها، فالإنسان لم يترك سدى ولم يهمل عابثاً حتى يجرّ حبل الضلالة والتيه، ويركب طريق المتاهة والحيرة، بل للخلقة هدف آخر وللإنسان سبيل آخر.

القدرة والقوّة العلوية

قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«وكأنّي بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضّعف عن قتال الأقران

ومنازلة الشّجعان. ألا وإنّ الشّجرة البرّيّة أصلب عوداً، والرّوائع الـخضرة أرقّ جلوداً، والنّابتات العذية أقوى وقوداً، وأبطأ خموداً».

(الشجرة البرية) التي تنبت في البر الذي لا ماء فيه (الروائع الخضرة) الأشجار الناعمة الغضّة التي تنبت في الأرض الندية (الغدي) الزرع الذي لا يسقيه إلّا ماء المطر.

هنا يجيب أميرالمؤمنين عليه السلام عن سؤال ربما يُطرح في الذهن، وهو انّ قوت أميرالمؤمنين عليه السلام لو كان هذا، لزمه الضعف والفتور وعدم القدرة على الحرب، فأجاب عليه السلام انّ القدرة والقوّة لا علاقة لها بكثرة الأكل والشرب، واستدل على المدعى بالأمور المحسوسة التي لا يمكن أن ينكرها أحد.

فاستشهد بالشجرة البرية التي تكون في الصحاري فإنّها أصلب عوداً من الشجرة التي تكون في المدن والبيوت ويتعاهدها أصحابها بالسقي والرقابة دوماً. وكذلك فإنّ الأشجار والنباتات الناعمة أرق وألطف من الأشجار والنباتات والأعشاب التي نبتت في الصحاري ولم يسقها إلّا ماء المطر.

فبهذين المثالين أثبت أميرالمؤمنين عليه السلام انّ كثرة الأكل والشرب لا علاقة لها بالقوة الجسمية.

اختصاصه برسول الله صلى الله عليه وآله

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«وأنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد».

الصنوان: النخلتان يجمعهما أصل واحد، فشبه عليه السلام نفسه ونفس رسول الله صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو الذي يجمعهما أصل واحد، وذلك استناداً إلى قوله تعالى في آية المباهلة: ﴿**أَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾[1] حيث كانت نفس علي عليه السلام كنفس رسول الله صلى الله عليه وآله في الحكم والمنزلة عدا جانب النبوة.

وفي نسخة ابن أبي الحديد: «كالضوء من الضوء» وقال: وذلك لأنّ الضوء الأول يكون علّة في الضوء الثاني، ألا ترى انّ الهواء المقابل للشمس يصير مضيئاً من الشمس، فهذا الضوء هو الضوء الأول، ثم انّه يقابل وجه الأرض فيضيء وجه الأرض منه، فالضوء الذي على وجه الأرض هو الضوء الثاني، فشبّه عليه السلام نفسه بالضوء الثاني، وشبه رسول الله صلى الله عليه وآله بالضوء الأوّل، وشبّه منبع الأضواء والأنوار سبحانه وجلّت أسماؤه بالشمس التي توجب الضوء الأوّل، ثم الضوء الأول يوجب الضوء الثاني»[2].

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦: ٢٩٠.

أما قوله عليه السلام: «والذراع من العضد» ففيه نكات:

١ـ انّ الذراع متصل بالعضد لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فكذلك علي عليه السلام متصل بالنبي صلى الله عليه وآله لا يمكن فصله عنه.

٢ـ انّ العضد إذا لم يكن له ذراع لا أثر له ولا يقدر على إيجاد آثاره في الخارج، كذلك الرسالة إذا لم تكن فيها الإمامة لا أثر لها أصلاً.

٣ـ انّ القوة في العضد والفعلية في الذراع الذي فيه الكف والأصابع، فلو فرضنا قطع الذراع عن العضد لا يقدر الإنسان على شيء.

٤ـ انّ العضد لا يكون تابعاً للذراع، بل الذراع تابع له في القوّة والضعف والحركة والسكون، فكذلك الرسول لا يكون تابعاً للإمام، بل الإمام تابع له في جميع شؤونه وأفعاله وأعماله[1].

وهذا هو مفاد قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**﴾[2] حيث انّ ذلك حصل بالإمامة.

شجاعته عليه السلام

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) مفتاح السعادة للقايني ١٥: ٣٥٠ ملخصاً.

(٢) المائدة: ٣.

«والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها».

يحلف أميرالمؤمنين عليه السلام هنا بالله، ويقرّر شجاعة نفسه وشدّة شكيمتها بحيث انّ العرب جميعها لو اتحدت عليه وحاربته لما ولّى عنها، وذلك لأنّ الفرار من الحرب ناتج من خوف الموت وحب الحياة لا غير، وأميرالمؤمنين عليه السلام أبعد شيء عن هذين المعنيين.

كيف وهو عليه السلام المشتاق إلى لقاء ربه جلّت عظمته، وهو القائل: «والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه» الخطبة: ٥، ومن عرف شدّة استيناس الطفل بثدي أمه عرف مغزى كلام الإمام عليه السلام وشدّة حب لقاء الله تعالى، وهو القائل أيضاً: «وانّي إلى لقاء الله لمشتاق، ولحسن ثوابه لمنتظر راج» الخطبة: ٦٢، وكما قال عليه السلام أيضاً: «وانّ أحب ما أنا لاق إليّ الموت» الخطبة: ١٨٠.

ولما بشّره رسول الله صلى الله عليه وآله بالشهادة وسأله عن كيفية صبره حينذاك، قال عليه السلام: «يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر» الخطبة: ١٥٦.

وكيف يفرّ أميرالمؤمنين عليه السلام من ساحة القتال وهو القائل: «انّ أكرم الموت القتل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على الفراش» الخطبة: ١٢٢.

معاوية

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«وسأجهد في أن أطهّر الأرض من هذا الشخص المعكوس، والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد».

(الركس) ردّ الشيء مقلوباً وأن يقلب آخره على أوله (المدرة) قطعة الطين اليابس (وحب الحصيد) حب النبات المحصود.

يشير أمير المؤمنين عليه السلام هنا إلى معاوية، وفي قوله: «أطهّر الأرض» إشارة إلى نجاسة معاوية وخباثته، فكما انّ الأرض ينبغي تطهيرها عن النجاسات الظاهرة القذرة، كذلك ينبغي تطهيرها عن الأشرار والأوباش.

أما كونه معكوساً، فإنّ العكس في اللغة ردّ آخر الشيء على أوّله، فكما انّ معاوية كان في أوّل أمره معانداً محارباً للإسلام فكذلك هو في آخره، وأما كونه مركوساً والركس ردّ الشيء مقلوباً، فهو إشارة إلى نفاقه وانّ ظاهره يخالف باطنه[1].

أما قوله: «حتى تخرج المدرة...» فقد قال ابن ابي الحديد: أي حتى يتطهّر الدين وأهله منه، وذلك لأنّ الزرّاع يجتهدون في إخراج

---

(١) مفتاح السعادة للقايني ١٥: ٣٥٤ ملخصاً.

المدر والحجر والشوك والعوسج ونحو ذلك من بين الزرع كي لاتفسد منابته، فيفسد الحب الذي يخرج منه، فشبّه معاوية بالمدر ونحوه من مفسدات الحب، وشبّه الدين بالحب.

أما أخبار معاوية ونسبه فهو:

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبدشمس، يكنى أبا عبدالرحمن، أسلم يوم الفتح كرهاً ونفاقاً، ورث بغض أهل البيت عليهم السلام من أمه وأبيه إلى أن صار إمام الفئة الباغية ورأس المنافقين.

عن ابن عباس قال: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث إلى معاوية يكتب له فقيل انّه يأكل ، ثم بعث إليه فقيل انّه يأكـل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا أشبع الله بطنه[1].

قال السيد محمد بن عقيل العلوي: «وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وآله من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً، ولعن من ضار بمسلم أو مكر به، ولعن من سب أصحابه، ولعن الراشي والمرتشي والرائش، ولعن من غيّر منار الأرض، ولعن السارق، ولعن شارب الخمر ومشتريها وحاملها والمحمولة إليه، وقال: من يلعن عماراً لعنه الله، ولعن من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة، ولعن من أخاف أهل المدينة

---

(١) الاستيعاب لابن عبدالبر ٣: ١٤٢١.

ظلماً. وأيّ صفة من هذه الصفات لم يتلبس بها ذلك الطاغية حتى يفلت من دخوله تحت عمومها»[1].

له موبقات وآثام كثيرة منها البغي على الإمام، ومنها استخلاف يزيد، ومنها قتل شيعة أميرالمؤمنين أمثال حجر وأصحابه ومحمد بن أبي بكر وغيرهم، ومنها سبّ أميرالمؤمنين عليه السلام على المنابر، ومنها دسّ السمّ إلى الإمام الحسن عليه السلام، ومنها التلاعب ببيت المال وصرفه في الملاهي والخمور والفجور إلى غير ذلك من الموبقات.

كان لعنه الله يروم إلى تغيير الدين وإرجاع الأمر جاهلية، فقد روى الزبير بن بكار عن المغيرة بن شعبة قول معاوية: «انّ ابن أبي كبشة [يقصد رسول الله صلى الله عليه وآله] ليصاح به كل يوم خمس مرات: أشهد انّ محمداً رسول الله، فأيّ عمل يبقى، وأي ذكر يدوم بعد هذا، لا أبالك لا والله إلّا دفناً دفناً»[2].

ونقل ابن أبي الحديد عن الزمخشري انّ معاوية كان يعزى إلى أربعة: إلى مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة، وإلى العباس بن عبدالمطلب، وإلى الصباح مغن كان لعمارة بن الوليد، وقد كان أبو سفيان دميماً قصيراً وكان الصباح عسيفاً لأبي سفيان شاباً

---

(١) النصائح الكافية: ٢٦ـ ٢٧.

(٢) الموفقيات: ٥٧٦، النصائح الكافية: ١٦٢.

وسيماً، فدعته هند إلى نفسها فغشيها[1].

كان على الشام نحو أربعين سنة أميراً وخليفة، إلى أن مات بها في النصف من رجب عام ٦٠هـ واختلف في عمره فقيل ٨٢ وقيل ٨٦ وقيل ٧٨سنة.

الدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إليك عنّي يا دنيا، فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك، وأفلتّ من حبائلك، واجتنبت الذّهاب في مداحضك.

أين القرون الّذين غررتهم بمداعبك! أين الأمم الّذين فتنتهم بزخارفك! هاهم رهائن القبور، ومضامين اللّحود. والله لو كنت شخصاً مرئيّاً، وقالباً حسّيّاً، لأقمت عليك حدود الله في عبادٍ غررتهم بالأماني، وأممٍ ألقيتهم في المهاوي، وملوكٍ أسلمتهم إلى التّلف، وأوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد ولا صدر! هيهات! من وطىء

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٣٣٦.

دحضك زلق، ومن ركب لـججك غـرق، ومـن ازورّ عن حبائلك وفّق، والـسّالم منـك لايبـالي إن ضاق به مناخه، والدّنيا عنده كيومٍ حان انسلاخه.

اعزبي عنّي! فوالله لا أذلّ لك فتستذلّيني، ولا أسلس لك فتقوديني. وايم الله ـ يميناً أستثني فيها بمشيئة الله عزّوجلّ ـ لأروضنّ نفسي رياضةً تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالـملح مأدوماً; ولأدعنّ مقلتي كعين ماءٍ، نضب معينها، مستفرغة دموعها».

(الغارب) ما بين السنام إلى العنق (المداحض) المزالق (المداعب) جمع مدعبة من الدعابة وهي المزاح (الدحض) المكان الذي لا تثبت فيه الأرجل (ازورّ) مال وتنكّب (مناخ البعير) مبركه (أعزبي) أبعدي (تهشّ) تتمنّى (نضب معينها) فنى ماؤها.

ثم خاطب عليه السلام الدنيا الدنية الفانية التي حُبها رأس كل خطيئة، والاعتماد عليها يوجب الحسرة والندامة، وقال: إليك عنّي، أي أبعدي عنّي أو اذهبي عنّي يا دنيا، فحبلك على غاربك، شبّهها بالبعير أو الحيوان الذي حبله على غاربه، وحبل الحيوان على غاربه كناية عن تركه وأنّه يذهب حيث يشاء، ثم شبّهها ثانياً بالسبع الذي له مخالب، والإنسلال عدم التعلّق بها، والمعنى أنّي قد انسللت أي انقطعت عن

مخالبك، ومخالب الدنيا كناية عن شهواتها وزخارفها، فكما انّ الحيوان الذي له مخلب يهلك ما وقع في مخلبه، كذلك الدنيا تهلك من يقع في مخالبها ولا مناص عن الهلاك إلّا بالانسلال عنها.

وشبه عليه السلام ثالثاً الدنيا بالصياد، وشبّه علائقها بالجبائل وهي جمع حبالة شبكة الصياد، ووجه الشبه ظاهر فإنّ الصياد لا يمكن له الصيد إلّا بحبائله، كذلك الدنيا لا تقدر على اصطياد الناس إلّا بما لها من الماديات، فمن قدر على التخلّص منها نجى، ومن وقع فيها هلك.

وشبّهها رابعاً بالأرض الواسعة التي لها مراتع كثيرة خضرة، فقال: اجتنبت الذهاب في مداحضك ومراتعك.

وبعد ما ذكر أوصاف الدنيا وبيّن خطرها، أشار إلى ما هو كالدليل على ما ذكره فقال: أين القوم الذين غررتهم بمداعبك، وفيه إشارة إلى انّ الدنيا في الحقيقة تمزح بأهلها وتداعبهم وهم غافلون، ثم قال: أين الأممّ الذين فتنتهم بزخارفك من المال والمقام والأولاد وغيرها، فأجاب عليه السلام وقال: ها هم رهائن القبور وأسراء مضامين اللحود.

ثم خاطب الدنيا ثانياً وقال: والله أي أقسم به، لو كنت شخصاً مرئياً بالأبصار وقالباً حسّيّاً كالأجسام المحسوسة لأقمت عليك حدود الله تعالى في عباد غررتهم بالأماني والآمال، وصيرتهم من الخاسرين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وألقيتهم في المهاوي والمهالك التي

لايمكن التخلّص منها بعد موتهم. وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد ولا صدر أي لا ورود لهم ولا خروج، وهو كناية عن وقوعهم في خطر عظيم لا يمكن لهم الخروج عنه.

ثم قال عليه السلام: انّ من وطئ ومشى عليك زلق ولم تثبت رجله، ومن ركب لججك غرق، ومن مال وتنكّب عن حبالك وفق، وهذا نحو قوله عليه السلام الآخر: «من أبصر بها بصّرته، ومن أبصر إليها أعمته» الخطبة: ٨٢.

ثم أشار عليه السلام إلى انّ من سلم من خدع الدنيا لا يبالي وإن ضاق مقامه ووضعه الدنيوي وابتلى بالفقر والجوع وما شاكل من ابتلاءات الدنيا، لأنّ الدنيا عنده كيوم حان انسلاخه وانقضاؤه.

ثم خاطب عليه السلام الدنيا وأمرها بالابتعاد عنه، وأقسم انّه لا يذلّ لها ولا يسلس لقيادها، وأقسم أيضاً أنّه سيروّض نفسه ويجاهدها حتى تقنع بالقرص وتفرح به إذا قدرت أن توصل إليه، وتقنع بالملح اداماً لها، كما انّه من كثرة بكائه يستفرغ دموعه كعين ماء فني ماؤها[1].

الغفلة

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة

---

١ مفتاح السعادة للقايني ١٥: ٣٥٥ـ٣٥٨ ملخصاً.

من عُشبها فتربض، ويأكل علي من زاده فيهجع، قرّت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة، والسائمة المرعيّة».

(السائمة) الإبل التي ترعى (والربيضة) الغنم مع رعاتها، والربوض للغنم كالبروك للإبل، (ويهجع) يسكن (والهاملة) المسترسلة.

ذكر عليه السلام البهائم والحيوانات التي همّها بطنها، وعرّض بالغافلين الذين اقتدوا بهذه الحيوانات فكان همّهم المأكل والمشرب، ثم استبعد ذلك من نفسه الشريفة وقال بانني لو صرت كذلك لابدّ أن يقال لي: قرت عينك حيث اقتديت بالبهائم بعد هذه السنين المتطاولة التي قضيتها في الجهاد والعبادة، وهو عليه السلام يريد أن يؤنب عثمان بن حنيف وغيره من شيعته وأصحابه حتى لا ينشغلوا بالدنيا فيصبحوا كالبهائم.

التهجّد

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«طوبى لنفس أدّت إلى ربها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في اللّيل غمضها، حتّى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها،

وتوسّدت كفّها، في معشرٍ أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم، وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم ﴿أولئك حزب الله، ألا إنّ حزب الله هم المفلحون﴾».

(عركت بجنبها) يقال: عرك فلان بجنبه الأذى أي أغضى عنه وصبر عليه (بؤسها) ضرّها (غمضها) نومها (الكرى) النعاس (تقشّعت) انحلّت وذهبت.

يمتدح أمير المؤمنين عليه السلام في نهاية المطاف النفس التي دأبت في العبادة والتهجّد، فيقول: طوبى لهذه النفس التي صبرت على الشدائد والمكاره التي ترد عليها، وهجرت في الليل نومها وانشغلت بالعبادة ثم إذا غلب عليها النوم آوت إلى الأرض، فلم يكن فراش لها سواها، ولم يكن لها وسادة إلّا الكفّ، فأصبحت هذه النفس في زمرة أولياء الله تعالى والعرفاء الذين أسهر عيونهم خوف معادهم، وذهبت ذنوبهم بطول استغفارهم، أولئك حزب الله ألا انّ حزب الله هم المفلحون.

الخلاص من النار

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«فاتق الله يا بن حنيف، ولتكفف أقراصك ليكون من النار خلاصك».

وأخيراً أمر عليه السلام ابن حنيف، والخطاب يشمل غيره، بتقوى الله تعالى، وبالاقلال من الدنيا وتمتعاتها، وذكر الأقراص من باب الاستشهاد بالجزء من الكل، ومن باب انّ أكثر انشغال الإنسان لتأمين هذا الجانب، فنراه يأكل في اليوم ثلاث وجبات عدا ما يتخلّلها من أكلات ومشروبات متنوعة. والخلاصة انّ التقوى والزهد في الدنيا هما السبيل للخلاص من النار والهلاك غداً ، وبهما تحصل الـزلفى والسعـادة.

***

فهرس الكتاب

تمهيد ٥

نص الكتاب ٧

عثمان بن حنيف الأنصاري ١١

آداب حضور الولائم للوالي ١٣

آداب الطعام ١٤

لزوم القدوة ١٤

زهد أمير المؤمنين عليه السلام ١٥

فدك ١٨

القبر ٤٣

التقوى ٤٩

المواساة ٥٣

هدف الخلقة ٥٥

القدرة والقوّة العلوية ٥٦

اختصاصه برسول الله صلى الله عليه وآله ٥٨

شجاعته عليه السلام ٥٩
معاوية ٦١
الدنيا ٦٤
الغفلة ٦٧
التهجّد ٦٨
الخلاص من النار ٦٩
محتويات الكتاب ٧١

***

انّ القرآن الكريم وكتاب نهج البلاغة يشكلان هوية الإنسان المسلم ، و هما مصداق كلام النبي (ص) في التمسك بالثقلين ، فالقرآن هو الثقل الأول، ونهج البلاغة هو التجسد الأتم للثقل الثاني أعني العترة. ولو تدبرنا في هذا الكتاب ـ بعد تدبرنا في القرآن الكريم ـ حق التدبّر، لرأينا انّه يحتوي على خير الدنيا والآخرة ، وجدير به أن يكون منهاجاً لحياة البشرية، وطريقاً نحو السعادة الأبدية.

إنّ سلسلة (في رحاب نهج البلاغة) التي تصدرها مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف ، محاولة متواضعة لإظهار هذه الحقيقة ، حيث تهدف إلى وضع دراسات مختصرة عن هذا السفر القيم، تتناول شرح خطبة أو كتاب أو حكمة وردت في هذا الكتاب، أو دراسة موضوع معيّن، أو دفع شبهة مثارة ، كلّ ذلك لتعميم الفائدة ، وتسهيل الوصول إلى لآلئ هذا السفر القيم...

شرح كتاب أمير المؤمنين عليه السلام
إلى عثمان بن حنيف الأنصاري

من الكتب والرسائل النافعة الدالة على كيفية متابعة أمر الولاة، وما ينبغي لهم أن يسلكوه في حياتهم السياسية مع النفس ومع الرعية..

موقع العتبة العلوية المقدسة : www.imamali-a.com

موقع مكتبة الروضة الحيدرية : www.haydarya.com

رقم الاصدار (٨٨)